مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

تَحَوُّلاتُ الرُّؤيَةِ في الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الجَزَائِرِيِّ الحَدِيثِ ديوَانُ " أُغْنِيَاتٌ نِضَالِيَّةٌ" لِمُحَمَّد الصَّالِح بَاوِيَة ـ أُنمُوذَجًا ـ

The Transformations of the vision in the Algerian modern poetic discourse "Fighting Songs divan by Muhammed Al Saleh Bawia"-model-

الطالبة. منال صالحي
manel.alg76@gmail.com
د . رابح الأطرش
Alatrache1954@gmail.com
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف ـ ميلة ـ

تاريخ الإرسال :15_03_2021 تاريخ القبول :02_08_2021

I. الملخـــص:

تهدف هذه الدّراسة إلى استعراض خصائص الرّؤية الشّعريّة ومقوّماتها، وكذا الإلمام بأبعاد التّجربة الفكريّة والفنيّة في الشّعر الجزائري الحديث، وتحوّلاتها في تجربة الشّاعر محمّد الصّالح باوية، أحد أبرز رواد حركة التّجديد (الشّعر الحرّ)، وعليه نحاول الولوج إلى عالم " باوية " الشّعري، على اعتبار أنّ الرؤية الشعريّة ليست هي المضمون السّياسي أو الاجتماعي، أو الفكري فحسب . بل تنطلق من مجموع التّجربة الإنسانيّة التي واكبها الشّاعر في عالمه المعاصر، بمختلف مكوّناته الفكريّة وطاقاته الإبداعيّة والجماليّة .

الكلمات المفتاحية: الرّؤية الشّعريّة؛ الشّعر الجزائري الحديث؛ باوية؛ التّجديد؛

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

I. ABSTRACT:

This study aims to review the characteristics and components of the poetic vision, as well as to gain familiarity with the dimensions of the intellectual and artistic experience of the poet Bawia, being one of the most promineers of the renewal movement (free poetry), and therefore we are trying to reach A poetic scholar, considering that the poetic vision is not only the political, social, or intellectual content. Rather, it stems lent it all started from the totality or the intire human experience that the poet has accompanied in it contemporary world, with his various intellectual components and his creative and aesthetic energies.

Keywords : Poetic vision; Modern Algerian poetry; Bawia; Renewal **.**

1. المقدمـــة:

مرّت المسيرة الأدبيّة في المغرب العربي بصفة عامّة، والجزائري بصفة خاصّة، بمراحل وتحوّلات كبرى، منذ العصر القديم إلى عصرنا الحاضر، وبخاصّة في الجانب الشّعري، باعتباره فضاء خصبا زاخرا بالطّاقات الإبداعيّة، وهذا ما جعله يحظى بعناية واهتمام الباحثين ـــ على اختلاف مستوياتهم وأزمنتهم وبيئاتهم ـــ، من جوانب شتّى منها؛ اللغويّة والجماليّة والفكريّة، بُغية اكتشاف مضامينه، وفنيّاته، وتراكيبه، وآليّاته، ورؤاه، وتحوّلاته، في ثنايا خطابه الشّعريّ، فكّلها عوامل لها أثر في إحداث التّغيير وتحوّل الدّلالة .

وإذا كان الشّعر العربيّ قد مرّ منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي بتغيّرات كبرى، حيث تطوّرت معه المضامين والأغراض والأساليب والتّراكيب، ومع مرور الزّمن خطّ لنفسه سبلا فنيّة جديدة ومغايرة تماما للقديم، فإنّ ما تعلّق بجوانب الرّؤية الشّعريّة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وتحوّلاتها، شكّل أبرز الدّعائم الباعثة إلى التّجديد الشّعري، والتّحرّر من قيد النّموذج والجمود الفكري .

ونظرا لتعدّد البواعث نحو التّحوّل الشّعري، فإنّ المتغيّرات التي طرأت على الشّعر العربي، وطبعته بطابع التّجديد، الذي بلورته حركة الشّعر الحرّ، لم تقتصر على المشرق العربيّ فحسب، وإنّما نجدها قد امتدّت إلى الشّعر الجزائري، فكان على شعراء الجزائر أن يواكبوا نظراءهم في العالم العربي، كما حاولوا دفع الشّعر لمسايرة كلّ جديد سعيا إلى الابتكار والإبداع وهذا ما أحدث تحوّلا بالغا على مستوى الرّؤية الشّعريّة .

وانطلاقا من أنّ الشّعر على اختلاف بيئاته وعصوره هو حلقات مترابطة، تتأتّى من قدرة الشّاعر على تطويع مخلّفات الماضي ووصلها بالحاضر، وكذا وعيه بضرورة السّير في ركب الزّمن، واستيعاب المستجدّات الحاصلة في كلّ آن وحين، لذلك ارتأينا إلقاء الضّوء على بعض الرّؤى والأفكار التي طغت على الشّعر الجزائري الحديث فوسمته بطابع التّحوّل .

ولدراسة القضايا المتعلّقة بتحوّل الرّؤية في الخطاب الشّعري الجزائري الحديث، وقع اختيارنا على "محمّد الصّالح باوية"، من خلال مجموعته الشّعريّة "أغنيات نضاليّة"، لِما تزخر به من تجربة ثُرّ بموارد الإبداع الشّعري ورحابة الفكر وسعة الرّؤية.

واستنادا إلى ما تمّ ذكره، نطرح في هذا المقال إشكاليّة تحوّل الرّؤية في الشّعر الجزائري الحديث. بالتّركيز على السّؤال التّالي: ما هي مظاهر التّجديد في الشّعر الجزائري؟ وما مميّزات الرّؤية الشّعريّة الجزائريّة ؟ وكيف تمكّن الشّاعر الجزائري من نقل وتصوير تجربته وفق تحوّل في الرّؤية الشّعريّة، بالرّغم من واقعه المتأزّم وطنيا وثّقافيا وفكريا ؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وللإجابة عن هذا السّؤال، قمنا بصياغة فرضيّة عامّة مفادها أنّ "التّجديد" هو السّبيل الوحيد الذّي يمكّن "الشّاعر" من خطّ طريقه نحو إحداث التّميّز والتّغيير، وكذا بلوغ الإبداع الفنّي.

ولمعالجة موضوعنا هذا المتمثّل في تحوّلات الرّؤية في الخطاب الشّعري الجزائري الحديث، اعتمدنا على آليات التّحليل والاستقراء، لمجموعة من النّماذج الشّعريّة، بغية تمحيصها وإبراز النّماذج التّي طغت عليها مسحة التّطوّر والتجديد.

2. مدخل مفاهيمي

1.2 الفصل بين مفهومي "الرّؤية" و"الرّؤيا"

قبل أن نتطرّق إلى تطورات الرؤية الشعريّة في الشّعر الجزائري الحديث، لابدّ من تحديد مفهوم الرؤية والرّؤيا لغة واصطلاحا والفصل بينهما .

– **لغة:** تدلّ كلمة "**رؤيا**" في معناها المعجمي على «ما يراه الإنسان في منامه وجمعها رؤى وأحلام»[1].

أمّا بالنسبة لكلمة "**رؤية**" فقد وردت في المعجم بمعنى « النظر بالعين والقلب»[2].

فالرؤيا إذن؛ مرتبطة بالخيال والتنبؤ، في حين أنّ الرؤية هي نظرة حسيّة، تنقل الواقع بمظهره وجزئياته الخارجيّة، وتكون في حالة اليقظة.

– **اصطلاحا:** لجأ العديد من النّقاد والباحثين العرب إلى التّمييز بين الكلمتين؛ إذ يذهب 'أدونيس' في كتابه "**الثابت والمتحوّل**" إلى أنّ الرّؤيا ؛«في دلالتها الأصليّة، وسيلة الكشف عن الغيب، أو هي العلم بالغيب. ولا تحدث الرؤيا إلاّ في حالة انفصال عن عالم

[1] – أُنظر؛ ابن منظور جمال الدّين بن الفضل، لسان العرب، ج3، ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر (دط)، (دت)، ص 1540، 1541.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص979.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

المحسوسات، ويحدث الانفصال في حالة النّوم، فتسمّى الرؤيا عندئذ حلمًا (...) ففي الرؤيا ينكشف الغيب للرّائي، فيتلقّى المعرفة »[1].

في حين ركّز 'شكري غالي' في كتابه "**شعرنا الحديث إلى أين؟**" ــ ركّز ــ على كلمة 'رؤية' وجعلها مرتبطة بالرؤية الفكريّة للواقع والفن، «التي تمنح الأولويّة في عناصر التّجربة الشعريّة للعنصر الاجتماعي والدلالة السياسيّة»[2]، وقد أكّد "**غالي**" بأنّ هناك تفاوتا في الرؤية من شاعر إلى آخر، وذلك مرتبط حسبه بازدياد الوعي والخبرة والتّجربة، حيث يقول: «إنّ كلّ شاعر يختلف حتّى في أولى مراحل تطوره عن الشّاعر الآخر (...) إذا كانت الرؤية الفكريّة للواقع والفن التي سيطرت على إنتاج شعرائنا الباكر قد استطاعت أن تقلّل من نقاط الخلاف بين كلّ شاعر وآخر، فإنّ الرؤيا الشعريّة الحديثة التي يجتمعون اليوم عند تخومها تقوم بدور عكسي، إذ بواسطتها يزداد الشاعر تفرّدا وأصالة، جنبا إلى جنب مع صدق تعبيره عن روح العصر والجيل»[3] .

وثمّة من يرى بأنّ كلمتي (الرؤية) و(الرؤيا)، متلازمتين، وتشكلان علاقة تكامليّة، «فرؤيا الشاعر ليست المحتوى السياسي أو المضمون الاجتماعي أو الدلالة الفكريّة، إنّها تنحت خصائصها من جماع التجربة الإنسانيّة التي يعيشها الشاعر في عالمنا المعاصر بتكوينه الثقافي والسيكولوجي والاجتماعي، وخبراته الجمالية في الخلق والتذوق، ومُعدّل تجاوبه أو رفضه للمجتمع، وطبيعة العلاقة بينه وبين أسرار هذا الكون»[4]، إذ

[1] – أدونيس: الثابت والتحوّل، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، صدمة الحداثة، دار العودة بيروت ط1، 1978، ص 166

[2] – شكري، غالي: شعرنا الحديث إلى أين ؟، دار الشروق، ط1، 1991، ص 74.

[3] – المرجع تفسه، ص 75.

[4] – شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين؟، ص 76.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

يرى "**علي جعفر العلاق**" أنّ «(الرؤية) و(الرؤيا) تنهضان معا في التّعبير عن مدلول متشابك واحد، يخصّ العمل الشعري كلّه، كيانا حيّا، عامرا بالقيم الجماليّة والإبداعيّة»[1].

فالرؤية إذن؛ تجربة حيّة واقعيّة، تنطلق من التّعبير عن الملامح العامّة المميّزة للظّاهرة، وجزئيّاتها، والانفعالات المصاحبة لها، وذلك سيؤدّي إلى اكتشاف الجديد والقديم في عناصر الظاهرة، ويحدّد طبيعتها ومكانتها بالنّسبة للحركة الإبداعيّة، كما يسمح ذلك أيضا بتحديد أنواع التجربة الفكريّة وتوجّه الرؤية فيها والتي تكوّن التّجربة الشعريّة العامّة.

أمّا الرؤيا؛ فهي تجسيد للتّوقعات، وهي بحث في المستقبل، تعتمد على القدرة الإبداعيّة والخياليّة، تتجاوز الواقع وتنشُد الخلق، لذلك يرى 'شكري غالي' أنّ الرؤيا «تختلف حسب الزّمان والمكان لكنّ هذا الاختلاف بين رؤيا القرن الماضي والرؤيا الحديثة في الشّعر ليس اختلافا في النّوع وإنّما هو اختلاف في وجهة النّظر كما أنّه اختلاف في درجة التّطور الاجتماعي وكلاهما عنصران في تكوين الرّؤيا الشعريّة ولكنّهما ليسا الرّؤيا نفسها»[2]، فالرّؤيا تنشأ لدى الشّاعر من اجتماع أدواته الفنيّة، وطاقاته الإبداعيّة، مع ما جادت به قريحته من إبداع فنّي، وصدق عاطفي، وخيال واسع، وحسّ مرهف، سواء أعاش التّجربة، أو تخيّلها، ورسمها في ذهنه صورة حيّة، ثمّ أعطاها الحياة من فيض رُؤاه، ومن شعريّته وفنيّته.

[1] – علي جعفر، العلاق: في حداثة النص الشعري، دار الشّروق، بيروت، ط1، 2003 ص75.
[2] – شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين؟، ص 18.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وممّا سبق لنا أن نميّز بين الرؤية والرّؤيا، فالرّؤيا؛ تجاوز للواقع والظاهر إلى الباطن الغيبي بما تنقله الخواطر والأخيلة والعواطف قلبيّة داخليّة، أمّا الرؤية؛ فإنّها شاخصة في تجربة لها علاقة وارتباط وثيق بالواقع حسيّة خارجيّة .

2.2 مفهوم التّحوّل الشّعري

إنّ التّحوّل هو مبدأ طبيعي، وهو في الشّعر ظاهرة طبيعية تطوريّة في كلّ زمان ومكان، وبخاصّة في الشعر العربي، لأنّ الشعر من أهمّ الفنون لدى العرب وسجلّ تاريخهم، وله مكانة عميقة في نفوسهم، حيث ظلوا يفتخرون به على الأمم والحضارات، فشهد الشّعر العربي على اختلاف بيئاته وعصوره عدّة تحوّلات، أحدثت ثورة وصراعا بين قديم الشّعر وجديده، حيث عرفت القصيدة العربيّة تطوّرا واضحا منذ العصر الجاهليّ وحتى وقتنا الحالي.

ونجد أنّ التّحوّل والتّغيّر أمر لابدّ له في الشّعر، فهو مبدأ من مبادئ الاستمرار والتّجديد، فلا يمكن أن تعبّر نفس الدّلالة عن المعنى ذاته بتغيّر البيئة والزّمن، فالتّحوّل ينتج عنه إعادة صياغة القديم في قوالب جديدة، أي أنّه؛ «يقوم على ما في الفكر من نشاط وابتكار وإبداع تُمليه الحياة الاجتماعيّة، وما تجِدُّ فيها من متطلّبات ونشاط وتفاعل مع ما يجري في الواقع والعصر من تطوّر وتطوير»[1].

وكمثال على ذلك نجد الشّعر العربي، لا يختلف من حيث اختلاف أغراضه وأساليبه فحسب، وإنّما يختلف باختلاف بيئاته وعصوره والموضوعات التي عالجها على اختلاف العصور، وتغيّر الظّروف التي ولّدته وأحاطت به حينها، إذ لكلّ عصر مميّزاته ولكلّ شعر ارتباط بالزّمن الذي قيل فيه والعصر الذي نشأ خلاله، فالشّعر جزء من الحياة

[1]– محمّد، التّركي التّاجوري: حول ملامح التّجديد وخطواته في الأدب العربي ونقده، منشورات اللجنة الشّعبيّة العامّة للثّقافة والإعلام، ليبيا، ط1، 2007،، ص171.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

التي أنتجته، لأنّه متّصل بها في كلّ الأحوال، ولا سبيل لتحليله ودراسته بمعزل عن الحياة التي سبقته فأثّرت فيه، والتي عاصرته فأثّرت فيه وأثّر فيها، ولعلّ ما يهمّنا من ذلك كلّه هو أنّ تعاقب الأزمنة والعصور، ووجود المتغيّرات والتّأثيرات على مستوى الشّعر، هي التي تحدث صراعا بين سابقه ولاحقه، أو بالأحرى بين القديم والجديد محدثة التّحوّل فيه.

وعليه فإنّ التّحوّل الشعري يرتبط بمفهوم الإبداع الفكري، أي بما يسمح للأفكار والرؤى أن تستعيد فاعليتها، وقدرتها على الإنتاج المبدع للمعاني الجديدة، أو المتجدّدة، ولا يمكن أن ينطلق المبدع من فراغ، بل ينطلق من أرضيّة تراثيّة، ويمكننا في هذا السّياق أن نورد ما قاله 'ابن رشيق (ت:456هـ) في كتابه 'العمدة': «إنّما سُميّ الشّاعر شاعرا؛ لأنّه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشّاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه آخر؛ كان اسم الشّاعر عليه مجازا لا حقيقة»[1].

ومنه فإنّ الشّاعر كمبدع؛ هو من يُولّد المعاني ويحوّلها وفق تجربته الشّعوريّة، ويصوغها في قوالب فنيّة، يَسعى من خلالها إلى الجدّة، والتّغيير، والتّطوير شكلا ومضمونا، «وقد قال العلماء بالشّعر: إنّ امرؤ القيس لم يتقدّم الشّعراء لأنّه قال ما لم يقولوا، ولكنّه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها؛ لأنّه قيل أوّل من لطّف المعاني، واستوقف على الطّلول، ووصف النّساء بالضباء، والمها والبيض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ، وفرق بين النّسيب وما سواه من القصيد، وقرّب مأخذ الكلام؛ فقيّد

[1] – ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، الجزء1، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981، ص116

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

الأوابد، وأجاد الاستعارة والتّشبيه»[1]، ليبلغ 'امرؤ القيس' قمّة الجدّة والتّطوير والتّحول الشّعري في عصره وبيئته.

3.2 التّحوّل والرّؤية الشّعريّة

إنّ تجربة الشّاعر تتغذّى من عصرها، وتتخذ معظم الرؤى والأشكال والأحوال الفنيّة الشّائعة فيه، حيث يلجأ الشعراء إلى توسيع الرؤية الشّعريّة، لاستيعاب أدقّ الجزئيّات والقضايا، واتخاذها مادّة فنيّة تتفجّر خلالها المشاعر الذاتيّة، والطّاقات الإبداعيّة، والتّميّز والتّطوّر لا يتحقّقان بنظرة سطحيّة، أو بسيطة اتّجاه الأشياء، وإنّما ينتجان عن ارتقاء في الرّؤية صوب الواقع والحياة، و«ما كان الشّعر والأدب عامّة إلاّ نتاجا لواقع معيّن، وانعكاسا صادقا لقضايا مجتمع محدّد، يتفاعل مع هموم وأفراح الجماهير، فيتأثّر ويُساهم في التّأثير ولعلّ هذا من أبرز المظاهر التّجديديّة في الشّعر العربي الحديث»[2]، فالشّاعر هو من يولّد التّجديد في شعره، وبيده تميّزه وتحوّله.

ويوجد تفاوت في الرؤية من شاعر إلى آخر، وذلك بازدياد الوعي والخبرة ونضج التّجربة، لأنّ «كلّ شاعر يختلف حتّى في أولى مراحل تطوره عن الشّاعر الآخر (...) إذا كانت الرؤية الفكريّة للواقع والفن التي سيطرت على إنتاج شعرائنا الباكر قد استطاعت أن تقلّل من نقاط الخلاف بين كلّ شاعر وآخر، فإنّ الرؤيا الشعريّة الحديثة التي يجتمعون اليوم عند تخومها تقوم بدور عكسي، إذ بواسطتها يزداد الشاعر تفرّدا وأصالة، جنبا إلى جنب مع صدق تعبيره عن روح العصر والجيل»[3].

---

[1] – المرجع نفسه، ص94.

[2] – بلقاسم، بن عبد الله: الأدب الجزائري وملحمة الثّورة، دار الأوطان للنّشر والتّوزيع، ط1، 2013، ص 25

[3] – شكري، غالي: شعرنا الحديث إلى أين ؟، ص 75.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

فالرؤية إذن؛ نابعة من تجربة الشّاعر في الحياة ومن احتكاكه بالواقع والعالم، واطلاعه على قضايا البيئة والعصر والفكر والثقافة، وغير ذلك من المؤثرات التي تنمّي الحياة الشعريّة، والتي « مؤدّاها، أنّ على الشّاعر ((قبل أن يشعر)) أن يعيش حقّا، ويختبر الحياة، ويعاني الشقاء والسعادة ويتذوق حلاوة الكأس ومرارتها، ويخوض في عُباب الحياة، يُحبّ حبّا صادقا، وينصر الحقّ قولا وعملا، وبعد أن، يحيا كلّ هذه التجارب، يعطي شعرًا هو ((الحياة الشعريّة بعينها))»[1]، فالفنان المبدع بإمكانه تقديم رؤية شعريّة متميّزة، تُنمّ عن خبرته ووجوده الذّاتي في مجتمع وعصر، تسكنه رؤى تتّصل بتصوّره للحياة وللوجود، والخطاب الشّعري في تحوّله، يكتسي معان جديدة تُنِمّ عن تطوّر الرؤية.

3. تحوّلات الشّعر الجزائري الحديث

إذا كان الشّعر العربي في المشرق قد شهد حركة شعريّة تجديديّة كبرى، عُدّت منعرجا حاسما في مسيرة الشّعر العربي الحديث، فإنّ للحركة الشّعريّة الجزائريّة نصيبها من التّجديد الشّعري، ومن التّحوّلات التي مسّت القصيدة العربيّة، حيث حاول الشّعر الجزائري مسايرة المدّ الإبداعي المشرقي، حين ظهر في الجزائر لفيف من الشّعراء الشّباب الذين ركبوا موجة التّغيير، فعمدوا إلى مظاهر تجديديّة متنوّعة، وحاولوا من خلالها الانفلات من قيد الجمود الفكري والفنّي الذي لازمهم عقدا من الزمن، فأحسّ كثير منهم بأنّ التّجديد الشّعري بات ضرورة حتميّة تقتضيها متغيّرات البيئة والعصر وهموم النّفس وصراعها في هذا الوجود، وأدركوا أنّ الشّاعر الحقّ هو الذي يستجيب لتلك المتغيّرات، فيقحم نفسه في التّجربة وحبّ المغامرة، والتّغيير، فالإنسان يسعى منذ أن

[1] – محمد زكي، العشماوي: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، فرع الاسكندريّة، ط3، 1978، ص 13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وجد على هذه الأرض بكلّ ما يملك من قوّة أو طاقة، للخروج من قوقعته الضّيقة إلى حياة رحبة تحقّق له التّميّز والانفراد، وتصل به إلى التّحوّل الأفضل.

ولأجل ذلك رسم الخطاب الشّعري الجزائريّ الحديث مساره الخاص في ركب التّطوّر والتّجديد، وبدأ الشّاعر الجزائري يحمل على عاتقه مهمّة إحداث تطوير في الرّؤية الشّعريّة الجزائريّة الحديثة، كي تُنْهِض وتستنهض، وتشحذ وتدعم، مرتكزا على رؤية جديدة قوامها الحماسة والبطولة والثّوريّة والوطنيّة والوحدة والنّضال، ليُجسّد تجربة شعريّة قادرة على كسر المألوف وتجاوزه، ما من شأنه أن يُفجّر بُركانا خامدًا يبحث عن نشوة الاستقلال والحريّة، محقّقا انفلاتا من قيود التّقليد وأغلال الماضي، وتحرّرا من قيود الوزن والقافيّة، وتخلّصا من سلطة النّموذج، ومن هنا بدأت الاستفاقة، وفُكّ العقال، وسالت الأقلام غزيرة تسكب بدل الحبر دَمًا فيّاضا بلهيب من الكلمات الحارقة، التي لا تقلّ تأثيرا عن الرّشاش والبندقيّة، «وقد ظلّ الشّعراء يتحسّسون جراح وعذابات الجماهير، وهي تتألّم تحت سياط القهر والظّلم والاستغلال فلم تمرّ مناسبة وطنيّة أو دينيّة، دون أن يتّخذوا منها فرصة للتّعبير عن هموم وطموح الشّعب، في أشعارهم التي تشوبها مسحة من الحزن واليأس أحيانا، من غير أن تفقد حرارة الدّعوة الصّريحة إلى التّحدّي والتّصدّي للمحتلّ الغاشم».[1]، ليس هذا فحسب؛ بل حاول الشّاعر الجزائري أن يُبرز ذاته، وأن يُحطّم قيود الصّمت، وبدأ ينتج رؤية فكريّة جديدة، تملّصت من أعراف المجتمع لتُحدث التّغيير فيه، وفق تجارب شعريّة مختلفة في فكرها ورُؤيتها، فكتب الثّورة والوطن، وكتب الذّات في نشوة الحب وألم المحن، وعبّر عن مأساته ليجعلها مأساة قوميّة إنسانيّة عامّة.

[1] – بلقاسم، بن عبد الله: الأدب الجزائري وملحمة الثّورة، ص33.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

ولاشكّ أنّ أبرز ما يميّز الحركة الشّعريّة الجزائريّة الحديثة، هي الحركة الوطنيّة والثّوريّة التي شهدها الوطن، وبخاصّة بعد مجازر الثّامن ماي 1945م وبشاعة جرائم المستعمر، التّي أثّرت في نفسيّة المبدع الجزائري، وهيّجت عواطفه، وجعلته يخرج عن صمت رهيب يواكب الأحداث ويحتضن قضيّة الوطن، يقول 'الوّناس شعباني': «بعد نكبة 1945 حدث تحوّل ملحوظ في الحركة الوطنيّة الجزائريّة فازداد الوعي الثوري والالتفاف حول القضايا الوطنيّة، ونخصّ منها بالذّكر قضيّة استقلال الجزائر، وكان الشّعر خير مبشّر بالثّورة، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال تلك القصائد السّيّاسيّة الدّاعية إلى الثورة لانتزاع الحريّة بقوّة السّلاح»[1].

إذن يمكننا أن ندّعي أنّ انتكاسة ماي الدّامية وهولُها ومأساتها، كانت سببا في اتّخاذ الخطاب الشّعري الجزائري الحديث أبعادا وتحوّلات فكريّة وفنيّة، إضافة إلى تأثير النّهضة العربيّة التي استنهضت ركود الشّعراء وجمودهم، وجعلتهم أكثر اطلاعا على العالم من حولهم، كلّها عوامل كانت كفيلة بتفجير موارد الإبداع الفكري والفنّي لدى الشّاعر الجزائري، لأنّه الذات الشّاعرة، المجرّبة، التي تعاني مأساة الوطن، فأصبح لسان ذاته ووطنه وأمّته، وهو الذي يعبّر عن المعاناة، ويحويها برؤيته وفكره، ليؤكّد دور الكلمة، ودور الإبداع في إحداث الفارق والتّغيير.

وبناء على هذا التّحوّل على الصّعيدين السّياسي والوطني، فقد بدأت روح التّجديد تظهر في الخطاب الشّعري، بوطنيّته وثوريّته، كما لا ننكر نفحات الجدّة المنبعثة فيه، وبخاصّة على مستوى الرّؤية الشّعريّة، التّي يكاد يكون من المسّلم به بين نقّاد الشّعر الجزائريّ الحديث ؛ أنّها بؤرة التّحوّل الشّعري، بما أسهمت فيه من تأثير وفاعليّة على

[1] – الوناس، شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتّى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعيّة (دط)، (دت)، ص 79.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

المستوى الفكري والإبداعي، وكذا بلوغها مرتبة الاستجابة للتّجربة الشّعريّة وتلقّيها، ورغم ما في هذه المسلّمة من إعلاء لمكانة الرّؤية الشّعريّة ومساهمتها في التّحوّل الشّعري الكبير، إلاّ أنّه إعلاء يؤكّد قيمة الموضوع الشّعريّة وكونها أساسا جوهريّا في بناء القصيدة، وبخاصّة حين تكشف عن إنجازات قيّمة وذات بناء محكم، وتصدر عن شاعر له عميق التّأثير و«صاحب تجربة متميّزة، تنطلق من رؤية خاصّة للإنسان والحياة».[1]، ولعلّ 'محمّد الصّالح باوية'[2]، قدّم من خلال ديوانه 'أغنيات نضاليّة'، رؤية شعريّة رصينة ذات أبعاد وخصائص جوهريّة من حيث فكرها وبناؤها .

4. خصائص الرّؤية في شعر باوية

1.4 قلق الوجود الشّعري والبعد الإنساني

لا شكّ أنّ الرّؤية الشّعريّة تختزل كيانها ودلالتها، وتُبرز تحوّلاتها وتطوّرها، من خلال المواقف التّي تعتريها فتُكوّن نشأتها، ومراحل نموّها، قبل أن تبعثها إلى الوجود كقالب فنّي أو قصيدة، والأدباء عامّة والشّعراء على وجه خاصّ، تعتريهم مواقف عديدة، تُسهم في دعم النّصّ الشّعري، ولعلّ القلق الوجودي هو أحد تلك المواقف،

[1]– طه، حسين، بن عشورة: الرّؤية الشّعريّة عند محمّد الصّالح باوية، مجلة مقاليد، العدد 5 ديسمبر 2013، ص46

[2]– محمّد الصّالح باوية؛ شاعر جزائري، ولد بمنطقة وادي ريغ بالمُغير ولاية الوادي، عام 1930م، حصل على الشّهادة في الطّب في بلغراد سنة 1969م، وشهادة الاختصاص في جراحة العظام بالجزائر عام 1979م، ولم يمنعه اختصاصه العلمي من الإبداع الشّعري، فكان فنّانا رقيق المشاعر، من أشهر دواوينه "أغنيات نضاليّة" الذّي تغنّى فيها بالقضايا الوطنيّة والقوميّة، أُنظر ؛ محمّد الصّالح باوية، أغنيات نضاليّة، دار هومة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008، ص11، 10 (بتصرّف).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وهو ردّ فعل فنيّ واستجابة دالّة على احتدام الرّؤى والعواطف والأخيلة والموارد الفكريّة والثّقافيّة التي تُسهم في تحوّل الرّؤية الشّعريّة، أو وضوحها عند الشّاعر.

وإن برز في الرّؤية الشعريّة لدى 'باوية' تحوّلات كُبرى، فإنّ أبرزها ما يتّضح في ديوانه "أغنيات نضاليّة"، حيث إنّ عنوان المجموعة الشّعريّة يُحيل إلى رؤيتها، وأبعاد التّجربة الشّعريّة التي تحويها، وإلى «العالم الذي يشغل الشّاعر، ويستوعب تجربته الفنيّة، وهو عالم لا يستطيع أيّ فنّان مكترث أن يتجاهله. إنّه الوطن، والانشغال الشّديد بهموم البيئة التي يضرب فيها الإنسان بين أبناء هذا الوطن، إنّه التّبشير بالحريّة: والبحث الدّائب عن العناصر الأصليّة التي تشكّل الشّخصيّة القوميّة. إنّه الوعي الكامل بمشكلات الماضي والحاضر والمستقبل، إنّه الإحساس الذي يستغرق النّفس بمعنى الثورة والأرض والنّاس»[1]، هذا ما أشار إليه 'محمود الربيعي' في مقدّمة الدّيوان، وذلك لما يحويه من رؤية شعريّة تستوعب الجزيئات الدّقيقة لتجربة صاحبها، ولأنّها تجمع بين طيّاتها حسّا وطنيّا وإنسانيّا عميقا، حيث تعبّر هذه المجموعة الشّعريّة عن التّجربة الحيويّة التّي عاشها الشّاعر، في خضمّ الأحوال الإنسانيّة والوطنيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة المتنوّعة، فقدّم تجربة شعريّة غاية في النّضج والإحكام شكلا ومضمونا.

نظم من خلالها صدى لقلق وجوديّ كبير، لا ينفرد به لوحده وشخصه كشاعر، وإنّما نرى فيه انعكاسا لتجربة تتبنّى التّعبير عن الضّمير الجمعيّ والشّخصيّ، ضمن رؤية شعريّة واحدة، وهذا انعكاس نفسي لما يعايشه الشّاعر في بيئته وعصره، ولعلّه في قصيدة " الحلقة الضّائعة " يطالعنا بنسيج من التّشتّت الرّوحي والفكري، فيكشف عن جانب من الضّياع الوجودي، والحيرة المستبدّة في رؤيته الفكريّة، فيقول:

« إِنِّي هُنَا

[1] – محمّد الصالح، باوية: أغنيات نضاليّة، موفم للنّشر، (دط)، 2008، ص 15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

أجْترُّ ذَاتِي .. ونِدائِي يَنْزِفُ
مازلْتُ خيْطا مُخلِصًا للعنكبوت
مازِلت عيْنا، ترقَبُ الدُّولابَ لَيْلاً في صُمُوتْ
ريحًا وتَمْزيقاً وقَبْوا وعِرقْ
غلاّتِ عَبدٍ مُستَمِيتٍ تَحْترقْ
***

إنّي هنا
بُرجٌ صريعٌ ... مُجهدٌ
تجترّهُ الأحزانُ والأسفارُ،
ليس لهُ غد..
***

وحدِي أَنَا...
يَقتاتُ منِّي كلّ شيء
حتّى الأحاجي .. والدُّجى،
والثّلجُ.. والكوخُ الغبيُّ
وَحْدِي أَنَا»[1]

تنتمي القصيدة إلى الخطاب الشّعري ذو المرجعيّة الرّمزيّة الفلسفيّة، التّي تمثّل رؤية شعريّة عميقة، تجمع في طيّاتها أصالة الفكر والموضوع، وغنى التّجربة، في صيغة شعريّة عالية المستوى، تمكّن الشّاعر فيها من إبراز موقف وجودي يرجع إلى الواقع النّفسي المُعاش.

[1] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 64، 65، 66.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

وفي القصيدة يتبنّى "باوية" أبناء وطنه، ويُعبّر على لسانهم عن مشاعرهم، في جوّ تشوبه معاني الضّياع ودلالات الغربة التي يعيشها الوطن بأسره، تغرّبت خلالها النّفوس والأرواح باحثة عن أمل يُنعش أحزانها، فضياع الشّاعر ناجم عن ضياع شعبه وسط الأشجان والمآسي، ففكره مُغترب وروحهُ تتأسّى وكأنّها مغلولة، ترغب في فكّ قيودها، والخروج من الأسر الذّي يُحاصرها، والوحدة التي تخنقها، والقلق الوجودي الذي يُكبّلها، وكلّ الأسئلة التي تُراود "باوية" ليس لها جواب إثر الجمود والسّكون، ويأمل في النّهاية أن يسترجع الإجابة المفقودة.

فالرّؤية الفكريّة في الخطاب الشّعري الجزائري، لبست وشاح الضّياع والقلق الرّوحيّ والفكريّ، في ظلّ مسوّغات كثيرة، لاحظنا أنّ أهمّها "أحداث الوطن"، وهي الحلقة الأولى في فكر كلّ شاعر، وتستولي على كلّ اهتمام لديه، فالرّغبة الجامحة في صناعة الثّورة، وتحقيق النّصر، هي التي وسّعت فكرهم الشّعري، وقادتهم إلى صناعة شعر ترسمه النّفس وما يتصارع بداخلها من أسئلة وحيرة وضياع، يقول "باوية":

«سُؤالاتٌ مُغرَّزَةٌ بقلبي
تُفجّرُ طاقتي في كلّ دربٍ
تُلاحِقُني كظلّي
فكَمْ مرّةً
أَغْمِدُها بليلي
وكم مرّة
أُعاندُها فَتُوغِلُ في التّجنّي
مُغمّسة نهايتها بأمسي،
بإنساني،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

بأقدسِ ما يُقدّسُهُ زَمَانِي

***

سُؤالاتٌ،

نِداءاتٌ تُقهقهُ مِن بَعيدٍ

مِن قريب

تَنْداحُ منّي، كارْتعاشاتِ اللّهيبِ

تُعنّفُ وَحْشَةَ اللّيْلِ المُحنّط في حيَاتي»[1]

ويستغرق الشّاعر هنا في أسئلة تشغل فكره ونفسه في كلّ آن وحين، وحاصرت حياته، فجعلته يسبح في عالم من القلق والضّياع، تراكمت عليه بعد أيّام عسيرة من التّوتّر والحزن، واليأس، ولم يبق أمامه سوى أن يُخرج هذه المكبوتات، لأنّه يبحث من ورائها عن ثورة شعب، ليتحوّل الضّياع هنا من "أنا" إلى "نحن"، فهي صورة لإعصار نفسي يحسّه الجميع دون استثناء:

«وفي دوّامة الإعصارِ والقلقِ العَتِيّ

تُجاوب قلبِي ألفَ وجهٍ عبقريّ

تُقهقِهُ ساخراتٍ من ضَياعِي

فأرعشُ حائرًا .. تَنهلُّ في عُمقي أعَاصيرُ

الصِّراعِ»[2]

فالقلق الوجودي مرجعه هموم الرّوح الضّائعة في سنين من الاستعمار، والاستعباد، واليأس المسجّى بالفجيعة والحرقة، ولم يجرؤ الشّاعر الجزائري في سنين

[1] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة؛ ص 68، 69.

[2] – المصدر نفسه، ص 70.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

الاستعمار الأولى أن يعبّر عن مثل هذه التّجارب، لأنّها كانت فتيّة في أعماقه، وتراكمُ الأحداث سَنة بعد سنة كان كفيلا لتطوّر الرّؤية الفكريّة لدى الشعراء.

إنّ الشّاعر يحسّ تماما في أسلوب توظيفه للغّة، ليعبّر بها عن محنته الرّوحيّة والفكريّة، وهي انعكاس نفسي لتجربته الإنسانيّة .

ذلك أنّ الموقف الإنساني والفكري عند الشّاعر، أحد أبرز الأبعاد المتجليّة في ديوانه، «ففي شعره يلتحم الإنسان بالثّورة، فيبدو معها وكأنّهما وجهان لكيان واحد، معبّر عن الرّفض والعطاء»[1]، فقصيدته (الإنسان الكبير) تحكي صراعه وتنقل ضياعه وقلقه، ونفسه التّائهة المتخبّطة في عوالم كثيرة، فيبوح بتجربة إنسانيّة، يناجي عبرها كلّ الموجودات في طابع من التّحّدي والصّمود، فهو لا يسترجي من ذلك العطف، بل على العكس، في بوحه ونجواه نبرة قوّة وإرادة إنسانيّة عظيمة، يقول:

«يَا رَفيقي
أنَا إنسَانُ طريقِي
أغرزُ المِحراثَ ينقلُ ثورتِي للذّرّةِ الدُّنيا
لِأعماقٍ خَفيّة
أَحبِسُ السُّحبَ..
هنا بحرٌ وأمطارٌ سخيّة
وربيعٌ صاغَهُ طفلٌ لشعبي.. وصَبيّة
أوقِف اللحْظَةَ، أنا لحْظَة كُبْرى غَنيّة
***

[1]– شلتاغ عبّود شرّاد : حركة الشّعر الحرّ في الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، ، (دط)، 1985، ص 93.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

سوْفَ ينْموُ البُرعُمُ الخلاَّقُ في الجُرحِ السَّجِين
المُنصتِ
انفضِي الأحْقابَ والأدْغَال .. يمتدُّ الصَّبَاح»[1]

وتبرز في هذه الأسطر وفي بقيّة القصيدة، روح تجديديّة طاغيّة على الرّؤية الشّعريّة والفكريّة عند "باوية"، فجلال المضمون وقوّة التّعبير هي من دون شكّ سِمة تبعث على نفحات التّطوّر والتّحوّل الفكري لديه، ففي بوحه ونجواه لا نجد شاعرا يستسلم لنفسه المتصارعة، بل إنّه يُعلن التّحدّي، ويرسم طموحه كقضيّة إنسانيّة وكعيّنة من طموح شعب وأمّة .

ويتضمّن الديوان الكثير من القصائد ذات البعد الإنساني، والدّعوة إلى قضايا الثّورة، والتّحرّر، حيث تُطالعنا نغمة التّحدّي والثّورة في قصيدة (إنسانيّة الطّريق) يقول:

«دمدمَ الرّعدُ وهزّتنا الرّياحْ
حطِّمِي الأغلالَ وامْضِي للسّلاحْ
حطّمِيها .. واهتفِي ملءَ الأثيرْ
يا طغاةَ اشهَدُوا اليَوم الأخِيرْ
***
إنْ أنا غِبتُ طويلاً وَصَحَا طِفلِي ورائِي خبِّريه إنْ دَعَاني
خبِّريه، إنّني في الكَهْف في السّاحةِ في الحَقْلِ في كلِّ مكانْ»[2]

ويحثّ الشّاعر أخته على النّضال والجهاد طلبا للحريّة، فغيابه عن أرض الوطن حافز لنموّ هذه الصّرخة في أنفاسه، فهو لا يريد اجترار الماضي وأشواقه، بل يرغب

[1] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 58
[2] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 33، 34

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

إشعال فتيل الثّورة لبناء أمل واعد ونصر جميل، « فقد استطاع أن يتفرّد عن أقرانه الغرباء بابتعاده عن المسحة الحزينة التي غلّفت قصائدهم وهم يتألّمون للفراق أو البعد فقد قدّم لنا نموذجا ثوريّا يجمع بين الذّكرى والتّحدّي»[1]، فالرّؤية عند 'باوية' أبانت عن معايشته للتّجربة الإنسانيّة ووعيه بها، في رؤية شعريّة قائمة على تجارب مختلفة وأبعاد عميقة، والغربة المكانيّة كباعث على القول الشّعريّ عند باوية "تجربة استثنائيّة" إن جاز لنا وصفها كذلك، لأنّها مغايرة لتجربة الشّعراء الجزائريّين في هذه الفترة.

وقد شئنا أن لا نُفصّل القول في خصوصيّة تجربة الغربة في سياق معجمها الشّعري، وتشعّب دلالاتها على المستويات كافّة، لأنّ ما يستدعي اهتمامنا في هذا البحث تحليل وكشف تطوّر الخطاب الشّعري الجزائري استنادا على تحوّلات موقف الشّاعر ورؤيته الشّعريّة وتعدّد التّجارب فيها دون التّركيز على تجربة بعينها.

2.4 الرّمز الإشكالي : الحبّ والوطن

لعلّ من أنبل العواطف وأصدقها ؛ عاطفة الحبّ، فلا تدانيها مترلة أيّ عاطفة في الوجود، فالحب إحساس مرهف وشعور عميق، «بلا حبّ... لا حياة ولا صراع من أجل البقاء. وقيل..خذوا الحُبّ..تُصبح الدّنيا كالقبر. إنّ هذه الحياة التي نعيشها الآن حياة التّهديد بالحروب النّوويّة.. والقلق، والاضطراب، والاستعداد لتحرير الأرض، والبحث عن القيم، والمثل، (...) هذه الحياة الشّاقة التي تطحن الإنسان لابُدّ لها من شُعاع، ولو بسيط، ليُنير ذلك الظّلام الحالك، ولابُدّ من كلمة حبّ وسط ملايين الكلمات الماديّة التي نتعامل بها، ولابدّ من لمسة حنان تُمسّ القلوب التي كادت تتحجّر

[1] – عمر، بوقرورة : الغربة والحنين في الشّعر الجزائري الحديث (1945–1962)، (دط)، (دت) ص 148.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

بسبب غرق الإنسان المعاصر في دوّامة الحياة الشّاقة، لكي تنتشله من هذا السّقوط»[1]، فالحبّ وحده قادر على تسكين العواطف، وإعادة الآمال، قادر على نشر طعم الهناء والوئام، فلطالما كتب الشّعراء والأدباء عن الحبّ، ولأجل الحبّ بعواطف مختلفة ورؤًى تبعث الآمال الورديّة لأنّ « أوّل من يحترق ليُنير لغيره الطّريق المظلم، أو يبعث فيه الأمل بحبّ الحياة.. هم الأدباء»[2].

وقد حظيت المرأة باهتمام الشّعراء منذ القرون الشّعريّة الأولى وخصّصوا لها كُبرى صفحات أشعارهم، وهذا ما نجده ممتدّا عند الشّعراء منذ العصر القديم، وحتّى العصر الرّاهن، حيث كتبوا فيها الغزل والوصف والمدح، إعلاء لمكانتها ودورها في الحياة، فتصدّرت بذلك أولويات الشّعر العربي باختلاف المواقف والتّيّارات والحركات، وأصبحت من حيث الرّؤية الشّعريّة رمزا عميق الدّلالات، توحّد فيها الشّعراء مع الذّات.

فليس ثمّة أكثر من الأدباء وخاصّة الشّعراء احتواء لعاطفة الحبّ، وتمسّكا بها، ولا يوجد من يُعبّر عن جمالها بصدق مثلهم، ونجد للشّاعر الرّومانسي "جبران خليل جبران" كلمته في الحبّ، إذ يقول: «.. الحبّ لا يُعطي إلاّ ذاته، ولا يأخذ إلاّ من ذاته .. والحُبّ لا يملك، ولا يملكه أحد، فالحُبّ يكفيه.. أنّه حب» [3] ، وكلمة "جبران" هذه كلمة عميقة المعاني بعيدة الدّلالات، لعُمق عاطفة الحُبّ في حدّ ذاتها، فالحُبّ رؤية ذاتيّة وعالم خاص.

[1] – فتحي، الأبياري: أدباؤنا والحُبّ، دار الشّروق، (دط)1974، ص05.
[2] – المرجع نفسه، ص 06.
[3] – فتحي، الأبياري: أدباؤنا والحُبّ، ، ص 166.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

والشّاعر في تناوله لموضوع المرأة بشتّى وظائفها في المجتمع، (حبيبة، زوجة، أم، أخت، صديقة..)؛ «يُجسّد حالة انفصال عن العالم الأرضي (المادي) ليتعلّق بالعالم اللامرئي فهي الحلم الواعد والتّوحد المطلق والسّمو على الواقع (بعد باطني لا مرئي) إلى جانب عيونها التي تغزل بها الشّاعر (بعد ظاهري مرئي)»[1]، وهذا ما جعل المرأة في الشّعر رمزا يبثّ من خلاله مختلف مشاعره، وأصدق انفعالاته وصوره، ورغم ما قدّمه الشّعراء الجزائريّون من رؤية وطنيّة صارخة وروح ثوريّة مدويّة، فإنّ هؤلاء الشّعراء كتبوا عن "الحب"، تأكيدًا منهم أنّ روحهم الحزينة المنكسرة، لا تعاني الجفاء، ولا تعرف الجمود، فالوجدان ملئ بعاطفة الحبّ ولوعة القلب والفؤاد، كما أنزلوا الوطن منزلة الأمّ ذات الحضن الدّافئ والقلب الصّادق ومنبع الحنان، وكذا منزلة المرأة الحبيبة التي عشقها الشّعراء حتّى الثّمالة، و«هم الذين طوّروا فنّ الغزل في الشّعر الجزائري شكلا ومضمونًا»[2].

وتُشكّل المرأة كرمز للحبّ ضمن هذا السّياق، محورا أساسيّا من المحاور الشّعريّة على مستوى الرّؤية في ديوان "أغنيات نضاليّة"، والملاحظ أنّ الشّاعر عالجه بطريقة ركّز من خلالها على إشكاليّة الحبّ والوطن، خاصّة بعد أن فتحت الثّورة مجالا واسعا أمام الشّعراء ليخرجوا عن صمتهم، ويتمرّدوا وينتفضوا ثائرين باسم الحبّ، وفي شعر "باوية" يتجانس الموقف العاطفي، بروح وطنيّة وتجربة ذاتيّة، تعكس الحسّ الذّاتي المفعمُ بالحبّ والعشق والرّومانسيّة، حتّى في ظلّ الموقف المتأزّم الذي يعيشه الشاعر، والذي يستوجب عليه الكتابة من أجل الثّورة والوطن، حيث « يعدّ التّعبير عن الوطن والثّورة أهمّ

[1] – عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبيّة في الشّعر الجزائري المعاصر، شعر الشّباب نموذجا، دار هومة، الجزائر، ط1، 1998م، ص103.

[2] – لوناس، شعباني: تطوّر الشّعر الجزائري منذ 1945 حتّى 1988، ص 110.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

المقوّمات الأساسيّة التي تشكّل خطّ الرّؤية الشّعريّة في ديوان "أغنيات نضاليّة"»[1] فالرّؤية الشّعريّة عنده تؤكّد تجاوبه مع الانفعالات والمشاعر التي تحيط به، فجسّد من خلالها رؤية ذاتيّة من بُعدين إشكاليّين: حبّ المرأة وحبّ الوطن، حبّ خاصّ وحُبّ عامّ. مُفجّرًا بذلك طاقته التّجديديّة بإبداع وفنيّة.

ونجده في قصيدة "الشّاعر والقمر" قد سكب من الذّات في شعره فاتّحدت التّجربة الشّعريّة مع الوطن في بعض المواقف ففي هذه القصيدة تبرز "الذّات" بعاطفتها وحُبّها، حيث «تُعطي افتتاحيّتها الإحساس بأنّ الشّعر منصرف إلى التّغنّي بعواطفه الشّخصيّة الخاصّة. وهذه الافتتاحيّة تُذكّرنا بشدّة الرّومانتيكيين العرب الذين انطووا على أنفسهم يجترّون مشاعرهم الشّخصيّة»[2].

هكذا فضّل "باوية" أن يفتتح قصيدته ليقول:

«كُوّةُ النّورِ .. أنَا ذَاكَ الوَلُوعُ
رَدِّدِي لَحْنًا شَرُودًا في الضُّلوع
واسْكُبِي النُّورَ.. وفَوّاحَ الطُّيُوبْ»[3]

وتبرز "الذّات" في هذا المقطع بقوّة، وتبرز معها ملامح التّجربة الذّاتيّة غارقة في الحبّ برومانسيّة شديدة، وحسٍّ مرهف ومشاعر رقيقة، عذبة التّعبير، ثمّ يُواصل "باوية" التّغني بعواطفه الشّخصيّة، وبتجربته مع الحُبّ وقلبه الولهان، الولوع، بنشوة كبيرة، لكن سرعان ما تتحوّل هذه العاطفة إلى صراع وحيرة في ذاته بين حبّ وشوق وثورة:

[1]– طه حسين، بن عشورة : الحسّ الوطني والقومي في ديوان أغنيات نضاليّة لمحمّد الصّالح باوية، مجلّة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، المجلّد2، العدد2، مارس 2010، ص115.

[2]– محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 21.

[3]– المصدر نفسه، ص 85.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

«عَاطِنيهَا مِنْ شِفَاهِ الخُلدِ كَاسَا
منْ لَهَاتِ الحُبّ، بَرْدَا وائتناسَا
يا شِراعَ الشِّعرِ .. يَا طُهْرَ الصَّلاَةِ
كَحّلِ الجَفنَ بإشْعَاعِ الإلـــــهِ
هَا أنَا يا قَمَري .. جَمُّ الصِّرَاعِ
نَهْبَ آمالٍ حَيَارى .. والتِّبَاعِ
ها أنَا، يا ربَّةَ الشّعر .. صَدَى
لِهُتافَات عُهُودٍ .. وَوَدَاعِ»[1]

وبعد النّغمة الرّومانتيكيّة ووصولا إلى الصّراع والحيرة، تحتدم في ذات الشّاعر صرخةُ ذاتٍ وطنيّة، تبحث عن شعاع نور وبصيص أمل؛ « دَمدمَ الصّاروخُ فافترَّ الظّلامُ
عن نُجومٍ هَارباتٍ في ازدحامِ
قدْ توارتْ كالرُّؤَى . خَلفَ الغَمَام» [2]

وانطلقت الرّؤية الشّعريّة عند باوية في هذه القصيدة، من الذّات ثمّ تتحوّل القصيدة تحوّلا غريبًا، فلا يلبث كلّ ذلك أن يُسلّم ـــ عن طريق التّداعي ـــ إلى الهمّ الأكبر الذي يشغل بال الشّاعر، وهو همّ المجتمع، فالتّجربة الذّاتية اتّسعت في هذه الأبيات واتّحدت مع الرّوح الوطنيّة تعبيرًا عن حمل الشّاعر لمأساة الوطن.

وتنتفض "الذّات" عنده ثائرة في (ساعة صفر)، تُنشِد بحبّها للجزائر، أناشيدًا حبيبة:

«الصّدى يُجهشُ بالإعصارِ، بالغَلاّتِ

[1] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 86، 85.
[2] – المصدر نفسه، ص 86.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

بالثّأرِ، أناشيدًا حَبيبَة
الصّدَى يَغرَقُ في عُمق كَياني ..
إنِّي طَفحٌ مُبيدٌ، يا حَبيبة » [1]

وتتأرجح إشكاليّة الحُبّ والوطن لدى 'باوية' بين الشّعور واللاشعور، بين القلب والعقل، بين الأنا والهو، بين الذّات والموضوع، لما في هذه العناصر من علاقة وطيدة بين عمق الشّاعر وذاته، ووجدانه، ونفسه، فآماله كلّها "جزائر"، وهي العلاقة الجدليّة المنشئة للحبّ وانتشاره في عالم 'باوية' ورؤيته الشّعريّة :

«يَا قَناتِي،
فجِّري أعْماقَنا عَبْرَ الدّيَاجِي،
نحنُ كونٌ وجزائرْ
يا فتاتِي
انفضِي أصْدَافَنَا ... فالسِّرُ فِي أحْشَائِها
صُبْحٌ وثائِرْ
جمِّعِي أشلاءَنَا للنَّجْمِ تَسْقيهِ ضِياء
فَيَرى الدُّنيَا جَزائرْ» [2]

يقدّم لنا "باوية"، صورة النّفس الثّائرة بحسّها الوطني القويّ، الذي يتّحد مع عواطف الذّات المنفعلة، فيجعل من كلّ ما في الوجود "جزائر"، وهذا يدلّ على التحامه بوطنه وحبّه له، فالجوّ الشّعري الذّي يشكّل عالم الشّاعر الدّاخلي، يتشكّل من الموضوع والرّؤية والتّجربة الإنسانيّة المتّحدة مع عناصر الطّبيعة .

[1] – المصدر نفسه، ص 51.
[2] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 52.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

ففي الصّورة الأولى يخاطب فتاته فتنبعث رؤيته كمظهر من مظاهر الطبيعة (فجّري أعماقنا عبر الدّياجي، نحن)، فيبعث الحبّ في صورة الوطن، (نحن كون وجزائر)، ثمّ يبعث صورة أخرى للطّبيعة في خطابه (انفضي أصدافنا ... فالسّر في أحشائها)، يمتزج فيها الحبّ بالوطن امتزاجا واضحا (صبح وثائر)، ثمّ ينقل صورة أخرى في أحضان الطّبيعة (جمّعي أشلاءنا للنّجم تسقيه ضياء) بحيث هي تتمّة للصّور الأولى واستكمال لها كمظهر عامّ للطّبيعة (فيرى الدّنيا جزائر)، وفي قصائد "باوية" نحسّ تلك الرّوح الرّومانسيّة الجديدة، الوافدة على الشّعر الجزائري الحديث بعميق إحساس، وقوة تأثير ولوعة فؤاد «حيث تقوم تجربة الشّاعر على إيجاد هوّة بين السّكون النّفسي والتّوتّر بصورة تبقى فيها (الأنا) متلجلجة بينهما»[1]، فالحبّ عنده عمليّة إبداع جديد وتحوّل فكري عميق، يعكس جوانب مختلفة من توتّره النّفسي.

3.4 تجلّي الغموض الشّعري

بعد أن أوغل الشّعر الجزائري في الذّاتيّة والوطنيّة، معبّرا عن حالة الوطن وأوضاعه، فإنّ ذلك سمح له بالاهتمام برؤية شعريّة جديدة، تساعده على دعم مأساته، وكسر صمته، وفكّ قيوده، لأنّه أراد أن يُسمع منتوجه ويوصله إلى أبعد نطاق، فظهرت فئة من الشّعراء الشّباب، الذين اعتمدوا على ظاهرة الغموض، وأنشدوا وفقها شعرهم على اعتبار أنّها الأسلوب الأنسب الذي سيخلّص الشّعب الجزائري من جموده ويدعم قضيّته، و« ليس المراد بغموض اللّغة الشّعريّة إبهام الكلام وتعقيده وإخفاء دلالته، حتّى لا يتراءى للمتلقّي ويُحجب عنه، وإنّما المراد به الإيحاء الشّفاف الذي يُزيّن الألفاظ والمعاني

[1] – إبراهيم أحمد، ملحم: مترلات الرّؤيا، الشّاعر العربي المعاصر وعالمه، دار عالم الكتب الحديث، عمّان –الأردن، ط1، 2010، ص 121.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

ويجعلها سلسلة، فيقف المتلقي أمامها ليتصوّر معناها الموحي إليه، فيكتشف جمالها بعد طول تأمّل وتفكّر، فهذا هو الغموض المحبوب والمستحبّ»[1].

فبشيوع الظّاهرة صارت القصيدة تحمل «إشارات وعلامات ودلائل مختلفة بين القارئ الواحد في ظروفه ومتغيّراته، وتداعي فكره أو تداعي شعوره...»[2]، وهذا يزيد من قيمة القصيدة ويوسّع آفاق تحليلها ودراستها ورؤيتها، ممّا يحقّق متعة القراءة لدى الجمهور المتلقّي من خلال «مشاورة القارئ الشّاعر في عمليّة الاكتشاف والإبداع»[3]، فيزيد من خلود النّص الشّعري ويضمن له الاستمرار والوجود «وهذا ما حرّر النّص من أحاديّة الدّلالة وفتحه أمام احتمالات عدّة يتُوه القارئ في القبض عليها إذا لم يمتلك قدرة عاليّة على التّأويل. ومن هذا الباب (ما يُبيّن انفتاح النّص وثقافة القارئ) يدخل الغموض على النّص الشّعري الحديث»[4]، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسّر شيوع ظاهرة الغموض في الشّعر الحديث، والتي ارتبطت باتّساع وعي الشّاعر، ورحابة فكره، وسعيه، لخلق قصيدة في نموذج جديد الفكر والأسلوب، أو على حدّ تعبير 'عزّ الدّين إسماعيل' فإنّ «الشّعر الجديد يتمّ في معظمه؛ بخاصّة في أروع نماذجه بالغموض»[5]، حيث عزا 'عزّ

[1] – أمحمّد مصطفي، تركي: الغموض في الخطاب النّقدي العربي المعاصر، بين إشكاليّة الوعي والوعي المضاد، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، ط1، 2014، ص 115

[2] – مسعد، بن عيد العطوي: الغموض في الشّعر العربي، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، السّعوديّة، ط2، 1420هـ، ص 181.

[3] – علي عشري، زايد: عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة، مكتبة القاهرة، ط1، 2008، ص 83.

[4] – محمّد إسماعيل علي، عبد العليم: ظاهرة الغموض في الشّعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، شركة مساهمة مصريّة للطّباعة والنّشر، 1436هـ/2011م، ط1، ص 150، 151.

[5] – إسماعيل، عزّ الدّين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر (دط)، 1967، ص117

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

الدّين إسماعيل' الغموض في الشّعر إلى أنّ الشّاعر لا يستخدم اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة التي نستعملها في حياتنا اليوميّة، ومن ثمّ فإنّه لا يفسّر الأشياء تفسيرا منطقيّا يقبله العقل، معتبرا أنّ الشّاعر يدرك الأشياء إدراكا أبعد مدى ممّا نراه، فكان لجوء الشّاعر إلى "الغموض" غاية منشودة تحقّق للقصيدة نوعا من الجدّة وتخرجها من المألوف، وتفتح أمامها قراءات وتأويلات تتعدّد وتختلف « جنوحا عن التّقليد، والسّذاجة، والبساطة، ولذا يقوم بتكثيف الصّور الخياليّة، وإقحام المشاعر، والانفعالات، حتّى يتلوّن النّص بضبابيّة غموضيّة »[1]، فإذا سار الشّعر العربي الحديث نحو الغموض، فإنّه أراد أن يسير بالقصيدة العربيّة إلى عوالم الانفتاح، وبُعدِها عن المباشرة، والوضوح في مضامينها، إلى أبعاد دلاليّة أرحب، فصار الغموض ظاهرة واضحة في الشّعر الجديد واتّسعت رقعتها لتمسّ الشّعر الجزائري الحديث، نتيجة للتّغيّرات التي واكبتها الحركة الأدبيّة في الجزائر.

وتُصادفنا "ظاهرة الغموض" في نماذج شعريّة مختلفة، تمثّلَها الشّعراء كلّ حسب تجربته الشّعريّة ورؤيته الفكريّة، فاتّخذوا من تجربة الغموض وشاحا تستّرت خلفه أحزانهم وأفراحهم، ذاتيّتهم ووطنيّتهم، غربتهم ورؤيتهم، وانفتحوا على الظّاهرة في إبداعاتهم، وهو ما اتّضح في عدد كبير من القصائد، خاصّة نماذج الشّعر الجديد "الشّعر الحرّ"، حيث واكب ميلاد الاتّجاه الشّعري الجديد في الجزائر ثورة نوفمبر وعايشها، فكان للشّعراء الشّباب آنذاك من أمثال: 'أبو القاسم سعد الله' و'محمّد أبو القاسم خمّار' و'باوية'، أن كتبوا قصائد مختلفة في شكل شعريّ جديد يلفّه الغموض، فاتّخذ الشّعراء من التّجربة سبيلا لنقل انفعالات الذّات، وفيض الأحاسيس الملتهبة بأحزان الثّورة والوطنيّة الصّاخبة الباحثة عن الاستقلال والحريّة.

[1]– محمّد إسماعيل علي، عبد العليم: ظاهرة الغموض في الشّعر العربي الحديث، ص186.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

حيث يُطالعنا "باوية " في بعض قصائده وهو يتأرجح بين المعاني، فلا هو مفصح واضح، ولا هو غامض مبهم، وإنّما غموضه يُنمّ عن حُسن تحكّمه في المعاني، إذ يُطوّعها فيُحسن التّبليغ من خلالها عن مراده، فمثلا في قصيدته "الشّاعر والقمر" (1955) نلمحه وكأنّه "مطران" أو "إبراهيم ناجي" أو غيرهما من الشّعراء الرومانسيّين الذين أولوا العناية التّامّة لعواطفهم الذّاتيّة والتّغنّي بها، إذ يقول' باوية' في المقطع الأوّل من هذه القصيدة:

«عانقي قلْبي، فأطيافُ الغُروب
تنشُرُ الرّعبَ، شمالا ... وجنوب
تفضحُ الأشواق في ظلّ الجُفون
وتُذرّي ما جمعنا منْ طُيوب»[1]

ويشعر الواحد منّا هنا أنّه أمام مقطوعة رومانسيّة تأخذه معانيها إلى عوالم أبعد، فيتيه مُبحرا في رِحاب الأشواق والمشاعر الفيّاضة، ثمّ ما تلبث المعاني في نفض غبار الغموض، والمعنى الخفيّ، لتتجلّى معانٍ أعمق، ورؤية أخرى أبعد، توحي بها الأسطر المتبقّية من القصيدة؛ فيقول:

«دَمدَمَ الصّاروخُ فافترّ الظّلام
عن نُجومٍ هارباتٍ في ازدِحام
قدْ توارتْ كالرُّؤى . خلفَ الغَمام
تكتمُ السّر المُوشّى ... بالسّلام
وإذا الصّاروخ قد وَلّى إليك
رَاعهُ غَيْبٌ ثوى في مُقلتيك
أصحيح سوفَ نتْلو في رُباك

[1] – محمّد الصّالح، باوية : أغنيات نضاليّة، ص 85.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

قصّة الأرض وألحان الخريف؟
سوف لا أحكي، فقلْ لي ... مَا مَداك؟
مَا وراء الفُلك، ماذا، من حفيف؟
أيُّ أقدار ... وأجيالٍ، هُناكْ؟
كم قرون، قد ذوت تحت سَناك؟
قدْ قسمنا .. وخَطَونَا لنراكْ؟
عَانقِينَا وادفَعينا، يا رِياحْ
فَعِناقُ الموج قدْ شدّ الشّراعْ
وأخبري الأقمار عنّا .. والصّباح
أنّنا جيلٌ جديدٌ، للصّراعْ »[1]

وفي هذه الأسطر تتغيّر المعاني فتمتزج العواطف الذّاتيّة الجيّاشة، مع روح التّحدّي والبحث عن الأمل وإشراق الحياة من جديد، وهو واقع الإنسان الجزائري، الذي يبحث عن بصيص النّور، والقمر المتوهّج، الذي يُبدّد ظلام حاضر حالك، ويُشعُّ بآمال زاهرة، وهذا التّحوّل في المعاني والقدرة على التّلاعب بها بنوع من الغموض الفنيّ، يُظهر مدى تطوّر الرّؤية الشّعريّة عند شعراء الجزائر، وهي رؤية تهدف إلى توسيع الفكرة، والابتعاد بها عن مألوف القول، وتجاوز الوضوح نحو أداءٍ رمزيٍّ بليغ ومكثّف الدّلالة.

ونجد لهذه الرّؤية الجديدة عند "باوية" مواطن متعدّدة، منها ما تنسجه الأسطر الشّعريّة في قصيدة "ساعة الصّفر" :

«المَدَى والصّمتُ والرّيح
تُذري رهبة الأجيال في تلك الدّقيقة

[1] – محمّد الصّالح، باوية : أغنيات نضاليّة، ص 86.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

قطرات العرق الباني،
نداء ..
وسِلال مُثقلات بالحقيقة
الأساريرُ، أخاديد مطيرة
ثروة خرساء،
أهوال مغيرة
لونُ عمقٍ يتحدّى في جزيرة
الأسارير صدى حلم
تبدّى في الجِباهِ السُّمر يوما،
فتجمّد »[1]

وابتعدت المعاني هنا عن التّقرير والمباشرة، إذ لم ينقل إلينا صاحبها مشهد اندلاع الثّورة في آنه، وإنّما أخذ في البداية يُمهّد للقارئ ويُحرّك أخيلته، وكأنّه يُريد إثارة انفعالاته أوّلا، لذلك أخذه إلى أبعد مدى ثمّ جعل السّكوت مخيّما في الأرجاء، وهو لا يقصد به صمتا في تلك اللّحظة، وإنّما صمت كوّنته الأيّام منذ الاحتلال إلى أن استفاقت النّفوس ريحًا غاضبة، ثائرة، فالمراد من هذا المعنى؛ إعطاء رؤية فكريّة حول يوم اندلاع الثّورة النّوفمبريّة، والشّاعر ينقل هذه الرّؤية بدلالات فيها نوع من الغموض المؤقّت، والذي ينوي وراءه استثارة المشاعر، التي تُدرك أنّ مخاض الثّورة لم ينشأ من فراغ، وإنّما جاء بعد تضحيّات جسام، وأيّام عسيرة، ثمّ يُواصل نسجه الشّعريّ على وتيرة واحدة مبتعدا عن الرّؤية التّقليديّة، إلى الإيحاء وعمق المعاني، هذا وإن أكّد محمّد ناصر في كتابه "الشّعر الجزائري الحديث،" أنّه ؛ «لا تتوفّر في قصائد ديوان ثائر وحبّ

[1] – محمّد الصّالح، باوية: أغنيات نضاليّة، ص 49

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

لسعد الله، وأغنيات نضاليّة لمحمّد صالح باوية، والحرف الضّوء لأبي القاسم خمّار...»،[1] هذه الخاصيّة التي تبتعد عن الوضوح، والمباشرة، وحسبه «لم تستطع أن تجدّد كثيرا في البنية العامّة للقصيدة الشّعريّة، لأنّها لم تتخلّ عن لغتها التّقريريّة المباشرة إلاّ قليلا، ولأنّها قلّما تجاوزت التّجديد في الإيقاع الموسيقي»[2]، لكنّ هذه القلّة التي أشار إليها "محمّد ناصر" هي في حدّ ذاتها تجربة يجب الإشادة بها، لأنّها متعلّقة بجيل من الرّواد، الذين أرادوا فسح المجال أمام الشّعر الجزائري الحديث، ليَلج بوابة التّجديد والتّطوّر في رؤيته وبنيته الشّعريّة، فليس من الضّروريّ أن تبرز تجربة شعريّة "كتجربة الغموض" في لمح البصر، ولكن بمجرّد وجود نفحات منها في دواوين شعرائنا، فإنّها ميزة خاصّة تُحسب لهم، ولاطّلاعهم، وسعيهم لمواكبة ركب التّجديد في تجاربهم، التي أضفت روح الجدّة على الشّعر الجزائري الحديث، فكانت تجربة رُوّاد تولّوا قيادتها بفكرهم وفنيّتهم، و«الغموض في الشّعر خاصيّة في طبيعة ((التّفكير الشّعري)) وليس خاصيّة في طبيعة ((التّعبير الشّعري))، وهي لذلك أشدّ ارتباطا بجوهر الشّعر وبأصوله التي نبت منها»[3]، لذلك اعتمد الشّعراء في هذه الفترة على الدّلالات الموحيّة والمعبّرة عن تجاربهم الشّعريّة، مبتعدين عن الغموض المؤدّي إلى التّعقيد والإبهام، مهتمّين بطبيعة الفكرة الشّعريّة وكيفيّة إيصالها إيحاءا ورمزا، فلا يبتدعون "ظاهرة الغموض" برؤية مستعصية عن الفهم، أو أميل إلى التّعقيد والغرابة، كالذي قام به شعراء الاستقلال بعد سنة "1963" فأعمالهم على حدّ تعبير 'محمّد ناصر' «أوغلت في التّهويمات، والصّور الغريبة المتداخلة إلى حدّ الإبهام،

[1] – محمّد، ناصر: الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925–1975)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1985، ص 640.

[2] – المرجع نفسه، ص 638.

[3] – إسماعيل، عزّ الدّين : الشّعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، ص 190

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

والتّعقيد، ممّا جعل القارئ يُحسّ بأنّه لا يقرأ شعرا ينبض بالانفعال والإحساس، وإنّما هو يقرأ أحاجي وألغازا»[1]، هذا ما يؤكّد أنّ عدم تعمّق الشّعراء في الظّاهرة أثناء الثّورة، وقبل الاستقلال، دليل على حرصهم الشّديد على تمجيد الرّؤية الفكريّة في شعرهم، وهي في حدّ ذاتها رؤية متطوّرة لهؤلاء الشّعراء تزيد من شاعريّتهم.

5. الخاتمـــة والنّتائج:

تبيّن لنا من خلال دراستنا أنّ الشّعر الجزائري الحديث وفقا لهذا التّطوّر في الرّؤية، مثّل بالفعل مسارا نوعيّا وتجربة عميقة بما ضمّ في طيّاته من خوالج الإنسان، ووعيه بمجريات الأحداث من حوله، فأمسك من كلّ تجربة بطرف ففيه من الحبّ ما يُذيب العشّاق، وفيه عزاء المهمومين وحزن المتألّمين، كما اهتمّ بالثّورة وبطولاتها وأحداثها، ورسم أمجادها وخلّدها للورى بأحرف من ذهب، ودواوين مثقلة بالكلمات والمعاني الصّادقة والمعبّرة، التّي من شأنها تنميّة الرّوح الوطنيّة في أجيالنا القادمة، وتعزيز مشاعر الفخر والمجد فيهم، إضافة إلى ذلك فقد جعل الشّعراء من الشّعر متّقدا بشعلة من روح الإنسان الجزائري، وفكره ورؤاه، وهي خصائص أكسبت الشّعر الجزائري الحديث طابع الجدّة، ليبقى شامخا أمام أي تجديد في الفكر أو الرّؤية، على يد جيل جديد من الشّعراء الشّباب .

ونظرا للتّطوّر الملحوظ على مستوى الخطاب الشّعري الجزائري، حاولنا في هذه الدّراسة أن نضيء مختلف الجوانب المتعلّقة بتحوّل الرّؤية الشّعريّة، فتمحورت إشكاليّة بحثنا حول البحث في مظاهر التّجديد في الرّؤية الشّعريّة الجزائريّة ومميّزاتها، والتي مكّنت الشّاعر الجزائري من إحداث التحوّل ، بالرّغم من واقعه المتأزّم وطنيا وثّقافيا وفكريا،

[1] – محمّد، ناصر: الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925–1975)، 1985، ص 656

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

انطلاقا من فرضيّة كون التّجديد هو السّبيل الوحيد الذّي يمكّن الشّاعر من بلوغ منزلة التّميّز والتّطوّر.

واستنادا إلى تجربة "محمّد الصّالح باوية" الشّعريّة، كرائد من رواد التّجديد في الشّعر الجزائري الحديث، وجدنا أنّها تجربة غنيّة بمواطن الإبداع والتّطوّر الفكري والثّقافي، بخاصّة من حيث تحوّلاتها ذات البعد الإنساني والمحلّي، ثمّ احتواؤها على مضامين إشكاليّة هامّة أبرزها؛ إشكاليّتي الوطن كرمز للانتماء، والحبّ كرمز لحرارة العواطف والأحاسيس، وأنّ روحه الشّعريّة لا تعرف الجفاء واليأس، حتّى في خِضمّ الألم والشّقاء، وتصاعد الأحداث الوطنيّة، وكذا طغيان ظاهرة الغموض الفنّي الذّي غلّف أغلب قصائد المجموعة الشّعريّة، إذ تُقرّ هذه التّحوّلات بأنّ فكر الشّاعر يتغذّى من عصره، ويتشكّل بفعل احتدام المشاعر في نفسه، لتتفجّر لغته لهيبا من الكلمات الحارقة والمعبّرة، وما من شكّ في أنّ التّجديد الشّعري الذي حقّقه الشّاعر في مجموعته الشّعرية 'أغنيات نضاليّة'، هو نتاج التّأثّر بموجة التّغيير التّي شهدها الشّعر العربي في المشرق، وبخاصّة ما يرتبط بظهور شعر التّفعيلة، والّذي لم نتطرّق إليه في بحثنا هذا، لأنّنا ركّزنا على جانب المضمون والرّؤية الشّعريّة، دون اللّجوء إلى دراسة الجانب الموسيقي وتحوّلاته.

وبناء على كلّ ما قدّمناه خلص البحث إلى تقديم التّوصيات التّالية:

– الاهتمام بالحركة الشّعريّة الجزائريّة الحديثة والبحث في تطوّراتها، وبخاصّة حين اتّكأت على الحركة الوطنيّة كمنعرج حاسم للتّغيير، ممّا غيّر في مضامين الخطاب الشّعري، حيث برزت رسالة الشّعر الجزائري الحديث من خلال تطور الرّؤية الشّعريّة، وهي تتمحور حول الكلمة الصّادقة والمقدّسة، التي تصل إلى المتلقّين دون مقدّمات.

– الالتفات إلى شعراء الجزائر وبخاصّة جيل الثّورة فإيمانهم بالبعد الرّسالي للشّعر، واختمار شعرهم في جوّ الأحداث المتصارعة والمتناميّة التّي عاشها الوطن هو الذّي زاد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

من قوّة تأثيره، فتغيّر القضايا الفكريّة وتعدّدها، وخروجها عن نمط الموضوع الواحد، وابتعادها عن اجترار المعاني الجاهزة، جعل من الشّعر مفعما بالأحاسيس الواعيّة والرّؤية الرّصينة، وهو ما يتيح للدّارسين مجالا واسعا للبحث، والغوص في مضامينه .

– ضرورة ردّ الاعتبار للشّعر الجزائري الحديث، والتّوجه له بالدّراسة الأكاديميّة الجادّة والهادفة في سبيل إعلاء مكانته .

6. المصادر والمراجع

1.6 المصادر:

(1) محمّد الصالح، باوية: أغنيات نضاليّة، موفم للنّشر، (دط)، 2008.

2.6 المراجـــع:

(1) إبراهيم أحمد، ملحم: منزلات الرّؤيا، الشّاعر العربي المعاصر وعالمه، عالم الكتب الحديث، عمّان –الأردن (دط)، 2010.

(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، الجزء1، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981.

(3) ابن منظور جمال الدّين بن الفضل، لسان العرب، ج3، ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر(دط)، (دت).

(4) أدونيس: الثابت والتحوّل، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، صدمة الحداثة، دار العودة بيروت، ط1، 1978.

(4) إسماعيل، عزّ الدّين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر (دط)، 1967 .

(5) أمحمّد مصطفي، تركي: الغموض في الخطاب النّقدي العربي المعاصر، بين إشكاليّة الوعي والوعي المضاد، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، ط1، 2014.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

(6) بلقاسم، بن عبد الله: الأدب الجزائري وملحمة الثّورة، دار الأوطان للنّشر والتّوزيع، ط1، 2013.

(7) شكري، غالي: شعرنا الحديث إلى أين ؟، دار الشّروق، ط1، 1991.

(8) شلتاغ عبّود شرّاد : حركة الشّعر الحرّ في الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، (دط)، 1985.

(9) عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبيّة في الشّعر الجزائري المعاصر، شعر الشّباب نموذجا، دار هومة، الجزائر، ط1، 1998م.

(10) علي عشري، زايد: عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة، مكتبة القاهرة، ط1، 2008.

(11) علي جعفر، العلاق: في حداثة النص الشعري، دار الشّروق، بيروت، ط1، 2003.

(12) عمر، بوقرورة : الغربة والحنين في الشّعر الجزائري الحديث (1945–1962)، (دط)، (دت).

(13) فتحي، الأبياري: أدباؤنا والحُبّ، دار الشّروق، (دط) 1974.

(14) محمّد إسماعيل علي، عبد العليم: ظاهرة الغموض في الشّعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، شركة مساهمة مصريّة للطّباعة والنّشر، 1436هـ/2011م، ط1.

(15) محمد زكي، العشماوي: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، فرع الاسكندريّة، ط3، 1978.

(16) محمّد، التّركي التّاجوري: حول ملامح التّجديد وخطواته في الأدب العربي ونقده، منشورات اللجنة الشّعبيّة العامّة للثّقافة والإعلام، ليبيا، ط1، 2007، ص171.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:733–769 تاريخ النشر:21–10–2021

(17) محمّد، ناصر: الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925–1975)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1985.

(18) مسعد، بن عيد العطوي: الغموض في الشّعر العربي، ط2، 1420هـــ.

(19) الوناس، شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتّى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعيّة (دط)، (دت).

3.6 المجـــلات:

(1) طه، حسين، بن عشورة، "الرّؤية الشّعريّة عند محمّد الصّالح باوية "، مجلة مقاليد، العدد 5، ديسمبر 2013.

(2) طه، حسين، بن عشورة، "الحسّ الوطني والقومي في ديوان أغنيات نضاليّة لمحمّد الصّالح باوية"، مجلّة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، المجلّد2، العدد2، مارس 2010.